

السيرة - رجال حول الرسول - الدرس (٤٤-٥٠) : سيدنا زيد بن سهل الأنصاري

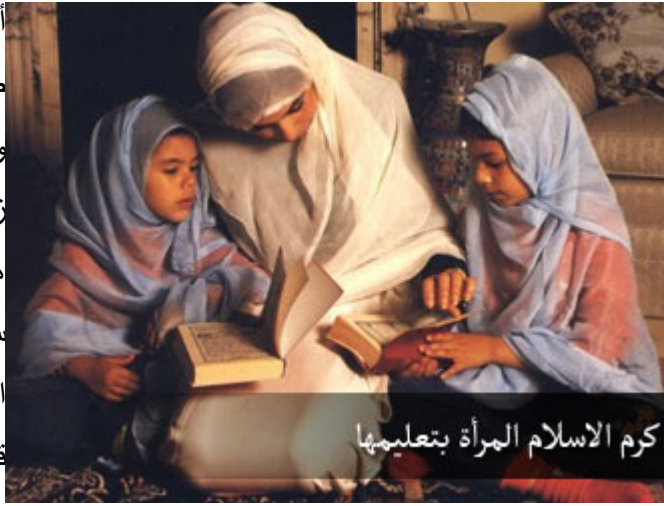
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٨-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

ما هي نظرة الإسلام إلى المرأة، وما هي نظرة أهل الكفر إلى المرأة ؟

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا مع سير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ولا زلنا مع الدرس الرابع والأربعين من هذه الدروس، وموضوع درس اليوم سيدنا زيد بن سهل، أبو طلحة الأنصاري .



قبل أن نقرأ تفاصيل حياة هذا الصحابي، لا بد أن تعلموا أن المرأة في الإسلام لا

تقل عن الرجل إطلاقاً، وكلما ازداد الإنسان علماً تبين له أن المرأة من حيث التشريف والتكليف كالرجل تماماً، وربما وهبها الله عز وجل من الأعمال الصالحة التي تفوق بها الرجال، فهذا الصحابي الجليل كان أحد الصحابة الذين كان لهم باع طويل في الدعوة إلى الله، هل تصدقون أن سبب هدايته إلى الله امرأة؟ .

لا تعجبوا أن تروا بين رواد المساجد عدداً كبيراً منهم كانت النساء، زوجات، أو أمهات، أو أخوات وراء هداية الرجال، فالمرأة كائن عظيم، والإسلام كرمها، والكفر نكسها، وجعلها سلعة، فلو أردت أن تبيع طلاء أحذية تحتاج إلى صورة امرأة شبه عارية على العلبه، كي تباع هذه السلعة، والكفار جعلوها سلعة رخيصة، بينما الإسلام جعلها كائناً عظيماً، وعلى كل من ثنيات هذه القصة تبدو لكم ملامح عظمة المرأة .

عرف زيد بن سهل النجاري، صحابي اليوم المُكَنَّى بأبي طلحة، أن الرميضاء بنت ملحان النجارية المكناة بأُم سليم قد غدت أيماءً، أي أصبحت بلا زوج، وربنا عز وجل قال:

(وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

[سورة النور الآية: ٣٢]

الأيامى كلمة مطلقة، تشمل الذكور والنساء، أي مخلوق من بني البشر ليس له زوج أو زوجة فهو أيم، والأمر الإلهي متوجّه إلى أولي الأمر أولاً، وإلى أولياء الأمور ثانياً، وإلى الأطراف المعنية بالزواج ثالثاً، والزواج سنة .

استطار فرحاً بهذا الخبر، وفرح فرحاً لا حدود له، حتى استخفه الفرح، ولا غرو فقد كانت أم سليم سيدة حصاناً رزاناً، راجحة العقل، مكتملة الصفات، وما أجمل أن يجتمع في المرأة كمال الخلق، مع كمال الخلق، مع رجاحة العقل، يبدو أن أم سليم كانت كذلك، فعزم أن يبادر إلى خطبتها قبل أن يسبقه أحد ممن يطمحون إلى أمثالها من النساء، فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

((الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عمرو]



خير متاع الدنيا الزوج الصالحه

الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، ليس في النساء درجة الوسط إما أنها جنة، وإما أنها نار، فعن معقل بن يسار، قال:

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً دَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: لَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَتَهَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَالِدِ))

قال: لا، ثم أتاه الثانية فتها، ثم أتاه الثالثة، فقال: تزوجوا الودود الولود

فَاتِي مَكَاثِرُ بِكُمْ الْأَمَمِ))

[أخرجه أبو داود في سننه عن معقل بن يسار]

المودة في الزوجة شيء لا يقدر بثمن، والولود تنجب لك أولاداً هم ثمرة هذا اللقاء . كان أبو طلحة على ثقة من أن أم سليم لن تؤثر عليه أحداً من طالبها، يبدو أنه في مستواها، كمال في الخلق والخلق وشهامة ومروءة وشجاعة، لكن تعليق بين قوسين لو أن الإنسان جاءته امرأة كأم

سُلِّمَ ربما قعد عن طلب الحق، لأن المرأة الكاملة مشغلة، فيطمئن إليها، وتطمئن إليه فيكسلان، فالمرأة الوسط أيضاً نعمة، فعلى المسلم ذكراً كان أم أنثى أن ينطلق إلى التعليم، وإلى طلب العلم، وإلى العمل الصالح، وكل إنسان له حالة خاصة .

كان هو أيضاً رجلاً مكتمل الرجولة، مرموق المنزلة، طائل الثروة، وهو إلى ذلك فارس بني النجار، وأحد رماة يثرب المعدودين .

مضى أبو طلحة إلى بيت أم سليم، يبدو أن الحياة كانت بسيطة، وهو في بعض طريقه تذكر أن أم سليم قد سمعت من كلام هذا الداعية المكي مصعب بن عمير، فأمنت بمحمد، واتبعت دينه، لكنه ما لبث أن قال في نفسه: وماذا في ذلك؟ ليس ثمة مشكلة، ألم يكن زوجها قد توفي عنها مشرغاً مستمسكاً بدين آبائه، وعلى عبادة الأصنام، نائياً بجانبه عن محمد ودعوته، وهو خارج هذا الاهتمام، وخارج هذا النشاط، بلغ أبو طلحة منزل أم سليم، واستأذن عليها، فأذنت له، وكان ابنها أنس حاضراً، فعرض نفسه عليها مباشرة، القرآن علمنا، كما أن المرأة تُخطب فالشباب يُخطب، قال له:

(قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)

[سورة القصص الآية: ٢٧]

عندنا عادات بعيدة عن جوهر الإسلام، هل يُعقل أن يعرض الأب ابنته على رجل للزواج؟ معنى ذلك أن فيها علة كبيرة، فإذا وجدت شاباً مؤمناً لابنتك، يا بني أنا عندي ابنة مناسبة لك، هذه ما فيها غضاضة، ترى الحياء الحياء، وبقيت هذه الفتاة عانساً، شيء صعب أن تتجاوز فتاة سن الثلاثين بلا زوج، مصيرها عند أحد أخوتها تحت سيطرة زوجة أخيها، قال تعالى:

(وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

[سورة النور الآية: ٣٣]

هل يوجد أب على وجه الأرض فيه ذرة إيمان يدفع ابنته للزنا؟ مستحيل، فلمن هذه الآية إذن؟ أليس الله يخاطب بها المؤمنين؟ نعم، القرآن أراد بهذه الآية أن الأب الذي يضع العراقيل أمام الخاطب فقد أكرهت ابنتك على الزنا، وأنت لا تشعر، وأيقظت فيها جانب الشهوة، وأنت لا تشعر .

أنت مثلاً؛ إذا كان عندك صانع تعطيه ألف ليرة في هذا الزمان، وهو يرى أن دخلك كبير، ومحلك ضخم، وبضاعة، واستيراد وتصدير، وكأنك تدفعه إلى أن يسرق منك مالاً من وراء ظهره، وتدفعه دفعاً لأنك لم تكفه، فأنت السبب، لا يصح عند أب عاقل أن يضع عراقيل أمام زواج ابنته . أياً الأخوة، الأمر صار في زماننا صعباً عسيراً، يجب أن تقبل ببيت خارج دمشق، وبيت مؤلف من غرفة واحدة وإذا كان أبوه وأمه وحدهما في البيت فاقبل بغرفة عند أبيه وأمه، وعلم ابنتك أن

يكون عندها حسن سياسة، لأنّ أي شيء مزعج في الزواج أخف من أن تبقى ابنتك بلا زواج، والله عشرات بل مئات الفتيات الطاهرات العفيفات المستقيمات نتيجة تعنت آبايهن ووضع العراقيين أمام الخطّاب، ولشموخ أنف آبايهن، ولعرقلة الأمور، ولمظاهر زائفة، فمجتمعنا الإسلامي قتلته المظاهر، حتى صرنا على مشارف فساد أخلاقي شديد، بل حتى السفاح حل محل النكاح، فالآباء عليهم أن يساعدوا خطاب بناتهم في أي شيء، وهذه ابنتك مثل ابنك فلماذا هذه العنصرية؟ كما أمّنت لابنك بيتاً فأمنّ لابنتك بيتاً، وزوجها شاب مؤمن، فليس من الغلط إذا ساعدت زوج ابنتك، هذه أشياء نعيشها جميعاً، الذي عنده بنات لا يضع عراقيين أبداً، ما دام هناك مسكن شرعي، ليس فيه اختلاط، وليس فيه فساد فيجب أن تبادر إلى قبول هذا الزوج، ما دام مؤمناً مستقيماً، ولا تجعل من ابنتك سلعة تغتني بها .

ماذا قالت هذه الفتاة العاقلة؟ قالت:

((إنّ منك يا أبا طلحة لا يُردّ، لكنني لن أتزوجك وأنت رجل كافر، فظن أبو طلحة أن أم سليم تتعلل عليه بذلك، وأنها قد آثرت عليه رجلاً آخر أكثر منه مالاً أو أعز ونفراً، -فقد أساء ظناً حين اعتقد أنّ خاطباً أغنى منه قد سبقه إلى أم سليم ، فتعللت بموضوع الكفر كي تنسحب منه، وتتزوج ذلك الأغنى- .

فقال: والله، ما هذا الذي يمنعك مني يا أم سليم؟ قالت: ما الذي يمنعني إذا؟ قال: الأصفر والأبيض، الذهب والفضة، -هذا سوء ظن محض- قالت: الذهب والفضة، قال: نعم، قالت: بل إنني أشهدك يا أبا طلحة، وأشهد الله ورسوله أنك إن أسلمت رضى بك زوجاً من غير ذهب ولا فضة، وجعلت إسلامك لي مهراً، -هكذا كان الصحابة .

أنا أقول لكم هذه الكلمات: لو أن الإسلام الذي نحن عليه هو الذي كان على عهد النبي، والله الذي لا إله إلا هو ما خرج الإسلام من مكة المكرمة إلى المدينة، ولما وصل إلى مشارق الأرض ومغاربها إلا بعدما أظهر الصحابة الكرام من المواقف البطولية ما يعجز عن إدراكه البشر- .
وما إن سمع أبو طلحة كلام أم سليم



حتى صرف ذهنه إلى صنمه الذي اتخذه من نفيس الخشب، وخص به نفسه كما يفعل السادة من قومه، لكن أم سليم أرادت أن تطرق الحديد وهو ما زال حامياً، فقالت له: ألسنت تعلم يا أبا طلحة أن إلهك الذي تعبده من دون الله قد نبت من الأرض؟ قال: بلى، قالت: أفلا تشعر بالخجل، وأنت

تعبد جذع شجرة جعلت بعضه لك إلهاً، بينما جعل غيرك بعضه الآخر وقوداً به يصطلي، إنك إن أسلمت يا أبا طلحة رضيت بك زوجاً ولا أريد منك صداقاً غير الإسلام، قال لها: ومن لي بالإسلام؟ قالت: أنا لك به، قال: وكيف؟ قالت: تنطق بكلمة الحق، فتشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ثم تمضي إلى بيتك، وتحطم صنمك، فانطلقت أسارير أبي طلحة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم تزوج من أم سليم، فكان المسلمون يقولون: ما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم، فقد جعلت صداقها الإسلام .

ومنذ ذلك التاريخ انضوى أبو طلحة تحت لواء الإسلام، ووضع طاقاته الفذة كلها في خدمة

(الإسلام))

خطب شابٌ بنت عالم اسمها وصال، قال: يا بني، هذه مهرها أن تلتزم دروسنا، قال له: لك ما تشاء، وهو جالس في الدرس كان عقله عند خطيبته، ثم يبدو أنه انتبه للدروس، وفي الدرس الثاني انسجم، وفي الدرس الثالث ذاب، وفي الرابع انطلق، وفي الخامس اصطح مع الله، وفي السادس بدأ يرقى، ونسي المخطوبة، فأرسلت له: يا فلان، أين العهد أن تتزوجني؟ فقال لها: يا وصال كنت سببَ الاتصال .

أحياناً الإنسان يهتدي على يد زوجته، أو على يد أخته، أو على يد امرأة عظيمة من ذوات قرابته، ليس في هذا عار، الإنسان عليه أن يصل إلى الله من أي طريق، كما قال الإمام الغزالي:

((طلبنا العلم لغير الله، فأبى العلم إلا أن يكون لله))

لقد جاء لهدف، وانتهى إلى هدف آخر .

سيدنا أبو طلحة، قال:

((كان أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله وسلم، ومعه زوجه أم سليم، وكان أحد

النقباء الاثني عشر الذين أمرهم النبي عليه الصلاة والسلام في تلك الليلة على مسلمي يثرب))

إلحكم موقفه يوم أحد ، علام يدل ؟

أيها الأخوة، ثم إنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغازيه كلها، وأبلى فيها أشرف البلاء وأعزه، لكن أعظم أيام أبي طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو يوم أحد .
يا أيها الأخوة الكرام، الحقيقة أسعد إنسان هو الذي له مع النبي عليه الصلاة والسلام موقف، فإن لم يكن مع النبي فمع أصحابه، فإن لم يكن فمع التابعين، وإن لم يكن فمع الدعوة إلى الله، ومع أهل الحق، والمغزى أن يكون الإنسان جندياً للحق، وألا يكون في خندق الباطل معادياً لأهل الحق، وهذه القصة التي أمامكم شيء لا يصدق .

أحب أبو طلحة النبي صلى الله عليه وسلم حباً خالط شغاف قلبه، وجرى مجرى الدم في عروقه، فكان لا يشيع من النظر إليه، ليس من السهل أن تلتقي بنبي عظيم، ليس من السهل أن تقتبس من أنواره، من حكمه، من أحواله، من علمه .

كان لا يشبع هذا الصحابي الجليل من النظر إليه، ولا يرتوي من الاستماع إلى عذب حديثه، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنفذ إليه المشركون من كل جانب فكسروا رباعيته، أي سنة التي بين الثنية والناب، وشجّوا جبينه، وجرحوا شفته، وأسألوا الدم على وجهه، النبي صلى الله عليه وسلم تحمل، وقال:

((أوذيت وما أوذى أحد مثلي، وخفت وما خاف أحد مثلي، ومضى عليّ ثلاثون يوماً لم يدخل

جوفي إلا ما يوارى إبط بلال))

النبي أسوة لنا، تحمل كل أنواع المتاعب، تحمل الأذى، تحمل الفقر، تحمل الخروج من الوطن، تحمل الخوف، فهو بشر، ولأنه جرت عليه كل خصائص البشر كان سيد البشر، لولا أنه جرت عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر .

فالنبي قدوة لنا، وإذا تحملت شيئاً من المتاعب في الدعوة إلى الله، وتحملت معارضة، ونقد لاذعاً أحياناً، لك خصوم، هم أعداء الله عز وجل، أرادوا إطفاء نور الله فاستهدفوك، قال تعالى:

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

[سورة آل عمران الآية: ١٣٩]

لما رأى أبو طلحة أن المسلمين انكشفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كُسر تثنيتة، وجرحت وجنته، وسال الدم على جبهته، انتصب أبو طلحة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم كالطود الشامخ، بينما وقف النبي عليه الصلاة والسلام خلفه يتترس به، ثم وَّترَ أبو طلحة قوسه التي لا تُفل، وركب عليها سهامه التي لا تخطئ، وجعل يذود بها عن رسول الله، ويرمي جنود المشركين واحداً إثر واحد، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتناول من خلف أبي طلحة ليرى مواقع سهامه، فكان أبو طلحة رضي الله عنه يردّه خوفاً عليه، ويقول له:

((بابي أنت وأمي لا تشرف عليهم فيصيبوك، إن نحري دون نحرِكَ، وصدري دون صدرك، جُعِلتُ

فداك يا رسول الله .

يا أخوان الإسلام حب، فإذا فُقدَ الحب لم يبق في المرء إسلام، وهذا الدين فيه جانب علمي، وجانب انفعالي، فمن دون حب، كمركبة بلا محرك، هي ممتازة، وطلاؤها جيد، وتلمع ، ولكن لا محرك لها، فالذي يحركك إلى الله عز وجل هو الحب، والحب ثمنه الطاعة، وقد صدق أبو العتاهية في قوله:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محالٌ في القياس بديعٌ

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيعُ

بصراحة أقول لكم: إذا لم تحبّ المؤمنين فهذه مشكلة مستعصية، المنافقون يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فيكفي أن يصلك خبر أن فلاناً المؤمن أصابه مكروه، يكفي أن ترتاح نفسك فتكون منافقاً، ولمجرد أن ترتاح لخبر مفاده أن مؤمناً قد ابتلاه الله بمصيبة، والله الذي لا إله إلا هو ضع نفسك مع المنافقين ولا تخف، لأنّ علامة إيمانك أن تحب المؤمنين، وأن تتمنى لهم كل الحب، تتمنى عزهم، تتمنى أن يكونوا أقوياء، تتمنى أن ينتصروا، فهذا الذي يتمنى أن يكون العكس هو في خندق المنافقين وهو لا يدري- .

كان الرجل من جند المسلمين يمر بالنبي عليه الصلاة والسلام هارباً، ومعه الجعبة من السهام، فينادي عليه النبي، ويقول له: انثر سهامك لأبي طلحة .
-بالمناسبة قد تسأل: أيعقل أن يخذل الله الصحابة، وفيهم النبي عليه الصلاة والسلام؟ ممكن، بل لقد حصل ذلك، قال أحكم الحاكمين:

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغِنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)

[سورة التوبة الآية: ٢٥]

أنا أقول لكم دائماً: في حياتك يومان أيها الأخ؛ يوم كيوم بدر، ويوم كيوم حنين، فإذا كنت مفتقراً إلى الله تولاك الله، ونصرك الله، وأيدك الله، ووفقك، وحفظك، وإن قلت: أنا عندي مال وفير، عندي تجارب كثيرة متراكمة، عندي خبرات واسعة، أنا أجعل خصومي في قبضتي، إذا قلت: أنا، تخلى الله عنك ووجللك إلى نفسك، يوم بدر، قال تعالى :

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

[سورة آل عمران الآية: ١٢٣]

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغِنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)

[سورة التوبة الآية: ٢٥]

بعملك، باختصاصك، بدراستك، بتجارتك، بصناعتك، بزراعتك، بوظيفتك، بعلاقاتك، مع مَنْ هم أعلى منك، مع مَنْ هم أدنى منك، تقول: أنا، يتخلى الله عنك، تقول: أنا فقير إلى الله يتولاك، هذه نصيحة أزجها لكم، قال تعالى:

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)

[سورة البقرة الآية: ٢٥٧]

هناك أربع كلمات مهلكات: (أنا، ونحن، ولي، وعندي)؛ أمّا (أنا) فقد قالها إبليس:

(قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

[سورة الأعراف الآية: ١٢]

فأهلكه الله، أمّا (نحن) فقالها قوم بلقيس:

(قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ)

[سورة النمل الآية: ٣٣]

فظفر بهم سليمان مسلمين، وأمّا (عندي) فقالها فرعون:

(وَتَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الزخرف الآية: ٥١]

فأهلكه الله غرقاً، وقالها قارون:

(قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا)

[سورة القصص الآية: ٧٨]



فخسَفَ اللهُ عز وجل به وبداره الأرض،
صدق القائل:

مالي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار
إليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة فإذا
رددت فأبي باب أفرع

كان عليه الصلاة والسلام يقول لمن
انكشف عنه: انثر سهامك بين يدي أبي

طلحة، ولا تمض بها هارباً، وما زال أبو طلحة ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
كسر ثلاثة أقواس، وقتل ما شاء أن يقتل من جنود المشركين، ثم انجلت المعركة وسلم الله نبيه
وصانته بصونه، وكما كان أبو طلحة جواداً بنفسه في سبيل الله في ساعات البأس))

ما هي قصة البستان الذي تصدق به أبو طلحة ؟

أيها الأخوة، فقد كان أكثر جوداً بماله في مواقف البذل ، كان له بستان من نخيل وأعناب لم تعرف
يثر بستاناً أعظم منه شجراً، ولا أطيب ثمرأ، ولا أعذب ماء .

ترى شخصاً عنده مزرعة، ولدينا مزارع جميلة جداً، مداخل، أشجار، نباتات زينة، ورود، أشتال،
كروم، أشجار مثمرة، مسبح، يعني من هذا القبيل تقريباً .

قلت لكم في بداية القصة: إن أبا طلحة كان ثرياً، وعنده مزرعة من أجمل مزارع المدينة، جاء
وصفها في كتب السيرة، وفيما كان أبو طلحة يصلي تحت أفيائه الظليلة، أثار انتباهه طائر غريب،

أخضر اللون، أحمر المنقار، مخضب الرجلين، نظر إليه، وقد جعل يتواثب على أفنان الأشجار طرباً مغرداً متراقصاً، فأعجبه منظره، وسبح بفرحه معه، وما لبث أن رجع إلى نفسه فإذا هو لا يذكر، كم ركعة صلى؟ قد تجد في أثناء الصلاة شخصاً يرفع إصبعه يقرأ التشهد، وهو واقف، سارح في موضوعات ليس لها علاقة بالصلاة إطلاقاً .

حينما شعر أن هذا الطائر الصغير الجميل المغرد الذي يتراقص على أغصان الأشجار شغله عن صلاته، ما إن فرغ من صلاته حتى غدا على النبي عليه الصلاة والسلام، شكاه له نفسه التي صرفها البستان وشجره الوارف، وطيره المغرد عن الصلاة، ثم قال:

((اشهد يا رسول الله، أني جعلتُ هذا البستان صدقةً لله تعالى))

سيدنا سعد، قال:

((ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس، ما صليت صلاة فشغلت نفسي

بغيرها حتى أقضيها))

هل شارك أبو طلحة المسلمين في غزوتهم في البحر، وفي عهد أي خليفة، وكيف كانت وفاته؟

عاش أبو طلحة حياته صائماً مجاهداً، ومات كذلك صائماً مجاهداً، فقد أثر عنه أنه بقي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاثين عاماً صائماً لم يفطر، إلا في أيام الأعياد حيث يحرم الصيام، وأنه امتدت به الحياة حتى غدا شيخاً فانياً، لكن شيخوخته لم تحل دونه ودون مواصلة الجهاد في سبيل الله، والضرب في فجاج الأرض إعلاءً لكلمته وإعزازاً لدينه . من ذلك؛ أن المسلمين عزموا على غزوة في البحر في خلافة عثمان، هؤلاء البداوة رعاة الشاة، صاروا قادة للأمم، صار لهم أسطول يغزون به الجزر في عهد عثمان بن عفان .

فأخذ أبو طلحة يعدّ نفسه للخروج مع جيش المسلمين المُبخر، فقال له أبناؤه، وكان شيخاً فانياً:

((يرحمك الله يا أبانا، لقد صرت شيخاً كبيراً، ولقد غزوت مع رسول الله، ومع أبي بكر، ومع

عمر كثيراً، فهلاً ركنت إلى الراحة، وتركتنا نغزو عنك؟ -بماذا أجابهم الشيخ الفاني وهو يطلب

الجهاد في البحر؟- قال: إن الله عز وجل يقول:

(انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

[سورة التوبة الآية: ٤١]

ما معنى ثقلاً؟ المعنى الدقيق؛ الإنسان وهو صغير خفيف، طفل عمره خمس سنوات تراه يقفز مثل الكرة، يصعد على الدرج خمسة خمسة، ينزل عشرة عشرة، وهو خفيف، لكن في الخمسينات لم يعد خفيفاً، يصعد أربعة طوابق فيلهث، صار ثقيل الحركة، فالله بماذا أمرنا؟ قال :

(انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

[سورة التوبة الآية: ٤١]

أنت شاب، وأنت شيخ، وأنت كبير في السن، إن الله عز وجل يقول:

(اتَّقُوا خِيفًا وَتَقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

[سورة التوبة الآية: ٤١]

فهو قد استتفرنا جميعاً، شيوخاً وشباناً، لم يحدد سناً، ثم أبى إلا أن يخرج- .

((بينما كان الشيخ المعمر أبو طلحة على ظهر السفينة مع جند المسلمين في وسط البحر، مرض مرضاً شديداً فارق على أثره الحياة، فطفق المسلمون يبحثون له عن جزيرة ليدفنه فيها، فلم يعثروا على مبيتاهم إلا بعد سبعة أيام، وأبو طلحة مسجى بينهم لم يتغير فيه شيء كأنه نائم، وفي عرض البحر، بعيداً عن الأهل والوطن، نائياً عن العشير والسكن، دُفن أبو طلحة في إحدى (الجزر))

ما هو محور القصة، والعبرة التي يمكن أن نستنبطها منها ؟

أيها الأخوة، هل تصدقون أن هذا البطل العظيم، الذي وقف هذا الموقف العظيم أمام النبي عليه الصلاة والسلام، وبذل ماله الكثير، وجاهد وهو شيخ فان، كل أعماله في صحيفة امرأته، التي دفعته إلى أن يسلم، فالمرأة لها مكانة عظيمة عند الله، المرأة كالرجل في التشريف والتكليف، وقد تفوق الرجل، قال تعالى:

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

[سورة الحجرات الآية: ١٣]

ربوا بناتكم على طاعة الله، علموهن القرآن الكريم، علموهن أحكام الفقه، علموهن حب النبي عليه الصلاة والسلام، فعن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه، فقالت:

((بأبي أنت وأمي، إني وافدة النساء

إليك، وأعلم نفسي أنه ما من امرأة

كانت في شرق ولا غرب سمعت

بمخرجي هذا إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فأمننا بك، وبإهلك الذي أرسلك، وأنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعبادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا



مالي سوى فقري اليك وسيلة

خرج حاجا أو معتمرا أو مرابطا، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أموالكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها، ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلقك من النساء، أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله))

[أخرجه البيهقي في سننه]

فالذي عنده بنت فهي ثروة كبيرة، هذه الفتاة إذا تزوجت رجلاً مؤمناً، وأسست أسرة مسلمة، كل خيرات هذه الأسرة الإيمانية في صحيفة الأب، والذي عنده فتاة يعلمها القرآن، يعلمها حب النبي عليه الصلاة والسلام، يعلمها أمر دينها، يعرفها بالله عز وجل، حتى إذا كانت زوجة، ولعل هذه المرأة تكون سبباً لرقى زوجها وأولادها، وكل إنسان يحتقر المرأة جاهلي، عنصري، بعيد عن روح الإسلام .

النبي الكريم كرم المرأة، قال:

((أكرموا النساء، فو الله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ولا يغلبهن إلا لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

هذه القصة محورها أن امرأة مسلمة بطلّة، كانت وراء زوجها الذي أصبح من أكابر صحابة رسول الله، هذه امرأة، هذه واحدة كآلف رجل، أو ألف امرأة، وأحياناً ترى ألفاً كأفٍّ، ألف امرأة لا يقيم الله لهن وزناً، لا شأن لهن عند الله عز وجل .

كل تفكير في أن المرأة دون الرجل تفكير جاهلي، تفكير غبي، تفكير أساسه العنصرية، المرأة كالرجل في التكليف والتشريف، وربما فاقت الرجل، لا ترَ أنّ ابنتك غير ابنك، فقد تكون ابنتك أرقى من ابنك، فعلمها، لأن الزوجة الصالحة لا تُقدر بثمن .

والحمد لله رب العالمين